

محور الإنسان

درس الميل

موضوع عن النظرية السلوكية

عالج الموضوع التالي: " الميل حركة أو توتّب وتهيؤ للحركة قبل حصولها."

أ- إشرح(ي) هذا القول ل"ريبو" وبين(ي) الإشكالية التي يطرحها. (تسع علامات)

ب- ناقش(ي) هذا القول في ضوء نظريّات مخالفة تناولت مسألة الميل. (سبع علامات)

ج- هل ترى/ترين أنّ هنالك عوامل تؤدي إلى تغيير ميولنا خلال حياتنا؟ علّل(ي) إجابتك.

(أربع علامات)

المعالجة:

أ- مقدّمة:

شكّلت الميول موضوع بحث في غير علم ومجال معرفي من قبيل الفلسفة، الفيزيولوجيا وعلم النفس. والحق أنّ الإنسان كائن تحرّكه مجموعة من الحاجات والدوافع والرغبات، وبالتالي فإنّ سلوكه ليس عفويًا بل هو مسير من هذه القوى التي توجّهه نحو غاياتها. هكذا يصبح في كل نشاط يقوم به الإنسان، قوّة كامنة وخفيّة لا تعي ذاتها، نسمّيها ميلاً، وهو أصل لكلّ ما عداه، ويُعرّف بأنه توجّه هادف لاواع.

تمتاز الميول بالبساطة والعمومية وهي المبدأ لكل تصرّفات الكائنات الحيّة، وتعدّ أصلاً ومنطلقاً لسائر ما عداها، وتظهر الميول على شكل حاجات ورغبات ودوافع. أمّا الحاجة فهي نقصٌ يطلب إشباعاً مثل الحاجة للمأكّل والمشرب والجنس. تفرق الرغبة عن الحاجة بأنّها ميل واع لذاته حسب "سبينوزا"، الرغبة إذن تعبير واعٍ وشخصي لميل معيّن وترتبط دائماً بموضوع محدّد. ليس الدافع بالواقع الحسي بل هو تكوين افتراضي يظهر من خلال السلوك الظاهر، فالدافع يُنشّط السلوك ويأخذ به نحو هدفه المعيّن. إختلف الفلاسفة والعلماء في مصدر الميل وطبيعته وبعض شؤونه، وقد قدّموا آراء مختلفة حد التعارض. ويطرح هذا القول الحكم رأي المذهب التجريبي في مسألة طبيعة الميل.

أما الإشكالية المطروحة فهي:

الإشكالية العامة: ما هي طبيعة الميول؟

الإشكالية الخاصة: هل تظهر الميول بالسلوك والحركات أم أنّها تولد نتيجة الإحساس باللذة؟

الشرح:

تُعدّ المدرسة السلوكيّة واحدةً من المدارس المعتمدة في علم النفس الحديث، وقد هدفت للنهوض بعلم النفس إلى مستوى العلوم الطبيعيّة من حيث الدقّة والواقعيّة، ولأجل ذلك عمدت إلى إهمال الجوانب التي لا يمكن ملاحظتها بالحواس، وحصرت دراستها في سلوك الكائن وتصرفاته باعتبارها المدخل لدراسة الحالات النفسيّة وتشخيصها.

ركّز السلوكيّون على دراسة الميول بوصفها حركات وسلوك خارجيين، مستبعدين دراستها بوصفها قوى كامنة فيها. في هذا السياق، إعتبر عالم النفس السلوكي الفرنسي "ريبو" أنّ ما يظهر من يظهر من الميول هو مجرد حركات، وبالتالي فقد عرّف الميول بأنها "حركة أو توقّف لحركة لحركة قائمة". الميل عند ريبو ليس شيئاً غامضاً بل هو "حركة حاصلة أو حركة في حالة تولّد"، وذلك ما تظهره ردات الفعل العضوية عند الكائن التي تظهر على ملامح وجهه أو أطراف جسده، فالحيوان المفترس الذي يمزّق فريسته بأنياحه ينفذ ميلاً. والميل أيضاً هو حالة وتوتّب وتهبؤ للحركة قبل حصولها بالفعل، فالعامل الذي يستعد لتلقّي أجر عمله في اليوم المحدّد، يكون مستعدّاً نشيطاً في ذلك اليوم منذ بدايته، والحيوان الذي يتربّص بفريسة يرسم حركة الهجوم بجسده قبل التنفيذ. وما يمكن ملاحظته في الواقع هو كميّة الحركة التي تختلف حسب أطوار إشباع الميل، فكّلما تم إشباع الميل، كلّما تناقصت كميّة الحركة، حتى يصل الميل لتمام إشباعه فتنتهي الحركة بالكامل.

ومما تنفرد به المدرسة السلوكيّة عن سواها من الإتجاهات في مسألة الميل، هو اعتبارها أن مجموع الحركات المتكرّرة التي تشكّل عادة من العادات يمكن أن تتحوّل إلى ميل، فالمحاولات الأولى الفاشلة في التدخين، تنقلب مع التكرار ميلاً إلى الموضوع، وهذا ما يعني ولادة ميول حاجات جديدة.

ب- المناقشة

ولكن على الرغم من أهميّة هذا الرأي وقوّة أدلته إلا أنه لم يخلُ من الثغرات ما سمح بانتقاده، ومن هذه الانتقادات:

1- إننقد عالم النفس الفرنسي "برادين" موقف السلوكيين مميّزاً بين "الميل إلى" و"الميل نحو"، ف"الميل إلى" فهو ردات فعل عفوية أمام وقائع قائمة ولا تعبّر عن ميل حقيقي، مثل التبتسم في وجه الضيف مع عدم

وجود ميل حقيقي تجاهه، أمّا "الميل نحو" فهو الذي يدل على ميل حقيقي يبحث عن إشباعه في الخارج بتوجه الميل نحو موضوعه.

2- إن تكرار الحركات لا يكفي لتوليد الميول، بل إن العادات تُركّز الميل الطبيعي وتوجّهه لموضوع محدّد، وتُسهّل الأفعال وتجعلها آليّة. فالإدمان على شرب القهوة صباحًا، هو تعبير عن ميل طبيعي لحاجة الجسم للاستيقاظ واستعادة النشاط.

وللمدرسة التجريبية رأي في مسألة طبيعة الميل، و يعتبر المذهب التجريبي أن الفرد يكتسب معارفه من العالم الخارجي بواسطة حواسه التي تمثّل أداة معرفته ووسيلة اتصاله بالعالم. إذ يولد الإنسان برأيهم صفحة خالية من المعارف والإمكانات النفسية والعاطفية وسواها، ومن خلال التجارب الحسية تمتلئ هذه الصفحة بالخبرات.

تعتمد الفلسفة التجريبية على أليّة التجربة، فتجعلها مبدأً تأسيسياً للعمليات النفسية، وعليه فإن الميول ليست فطرية ولا موروثة بل هي ثمرة تجارب حسية واختبارات عملية، يمرّ بها الكائن في مسار حياته المادية واليومية. يعتبر "كوندياك" وهو أحد فلاسفة هذا المذهب أن المعرفة ترتبط بالحس ولا دور للعقل فيها، وإنّ كل ميولنا تعود في الأصل لما مرّ على حواسنا، أمّا ما يُسمّى بالعقل فهو نتاج لتلك الإحساسات التي تردنا من الخارج، وفق الرأي القائل: "لا يوجد شيء في الذهن إلّا وقد مرّ من قبل في الحواس". يتقرّر إذن أن الفرد الذي يُحرم من حواسه فإنه يبقى كما وُلد، وبالتالي فهو عاجز عن اكتساب الميول.

إنطلاقاً من كل ما سبق، يؤكّد "كوندياك" أنّ الإحساس هو المبدأ الذي يحدّد ويولّد مختلف القوى الروحانية والعاطفية، فيكون الذهن أشبه بتمثال لا حياة فيه، يتلقّى الأحاسيس من العالم الخارجي، ولا يقصد الفيلسوف أي أحاسيس بالمطلق بل إحساساً محدّداً بعينه هو الإحساس باللذة، فاللذة هي قلب الميول النابض، وبها يمايز الفرد بين إحساساته فيميل لموضوع وينفر من آخر إذا أحسّ من جرّاء ذلك بالألم أو النفور. إنّ كلّ تجربة لا تولّد لذة، فإنها قطعاً لا تولّد ميلاً، اللذة هي المحرّك لتكرار التجربة، فالكائن يرغب دومًا بتكرار التجارب اللذيذة، ومع التكرار المستمرّ، ترسخ هذه الرغبة في الذهن لتصبح ميلاً. ويمكن توضيحاً لما سلف أن نضرب المثال التالي: ليس في الذهن أي معرفة أو ميل للروائح الطيبة، ولكن ما إن يحدث أن يمرّ الإنسان بجانب الزهور فيشمّ عبيرها، يحسّ حينها باللذة، هذا الإحساس يولّد رغبة بتكرار التجربة لاختبار الشعور اللذيذ المرة تلو الأخرى، ليرسخ بعد فترة من الزمن ويصير ميلاً إلى الروائح الطيبة.

توليفة: نهاية الكلام، أفلحت كل نظرية في عرض جانب للميل، دون أن تحيط بتمام المسألة. ويمكن القول، إنّ الميول هي إمكانات وقوى أساسية وعامة ترتد إليها كلّ أفعالنا ومشاعرنا وأفكارنا وإنها أصيلة لا يمكن أن تكون موضع إكتساب، وإن كانت قابلة للمرونة والتحول وتكتسب بالتجربة وسائل وقدرات على الفعل. وقد تعمل أحيانا من وراء حجاب اللاوعي كما علمنا التحليل النفسي، فتظهر بأشكال مختلفة، بعضها سوي وبعضها مرضي.

ج- هل ترى/ترين أنّ هنالك عوامل تؤدي إلى تغيير ميولنا خلال حياتنا؟ علّل(ي) إجابتك. (أربع علامات)
عناصر الإجابة:

1- تمهيد

2- الموقف الشخصي

3- التعليقات والتبريرات

الإجابة:

تمهيد: تُعد الميول من أكثر الصفات النفسية إلتصاقًا بالفرد، وتعبيرًا عنه، فهذه الميول هي في حقيقتها شخصية الإنسان، ولو أردنا أن نعرّف أنفسنا للآخرين، فإن جزءا من التعريف يكون بإخبارهم عما نحب وما نكره

مثال عن الموقف الشخص: وإني أرى أن الإنسان لا يستقر على ميول بعينها طوال حياته، بل إن هذه الميول تتغيّر نتيجة عوامل مختلفة تطرأ عليه.

مثال على التعليل:

الإنسان يمرّ بمرحل في حياته، فيكون طفلا ثم مراهقا، فشابا ثم راشدا وأخيرا كهلا وشيخا، وكلّ مرحلة من هذه المراحل لها خصائصها التي تنسم بها، وتكون سبباً لتغيّر ميوله (تعليل أول)

الميل ناتج عن إستمتاع، فما لا يولد سرورًا أو لذة، فلا يولج ميلاً، وبالتالي فما لا يعود قادراً على إسعادنا فأننا نتركه لنميل لغيره (تعليل ثانٍ)

ويمكن تقريب هذه الكلام، بميل الأطفال إلى اللعب، فهذه الألعاب التي يسعد بها الطفل ويفرح كثيراً، فإنها بعد فترة من الزمان، ونضوج الفرد، تصبح غير مولدة للذة، فلا يعود ينشد السرور من خلال اللعب بها، ما يدفعه لتركها والبحث عن أشياء جديدة تسعده كالرياضة أو مشاهدة التلفاز أو نحو ذلك. (مثال)

الإجابة النهائية:

تُعد الميول من أكثر الصفات النفسية إلتصاقاً بالفرد، وتعبيراً عنه، فهذه الميول هي في حقيقتها شخصية الإنسان، ولو أردنا أن نعرّف أنفسنا للآخرين، فإن جزءاً من التعريف يكون بإخبارهم عما نحب وما نكره. وإنني أرى أن الإنسان لا يستقر على ميول بعينها طوال حياته، بل إن هذه الميول تتغير نتيجة عوامل مختلفة تطرأ عليه. ذلك أن الإنسان يمرّح في حياته، فيكون طفلاً ثم مراهقاً، فشاباً ثم راشداً وأخيراً كهلاً وشيخاً، وكلّ مرحلة من هذه المراحل لها خصائصها التي تنسم بها، وتكون سبباً لتغير ميوله. أضف على ذلك أن الميل ناتج عن إستمتاع، فما لا يولد سروراً أو لذة، فلا يولج ميلاً، وبالتالي فما لا يعود قادراً على إسعادنا فأننا نتركه لنميل لغيره. ويمكن توضيح هذه الكلام، بميل الأطفال إلى اللعب، فهذه الألعاب التي يسعد بها الطفل ويفرح كثيراً، فإنها بعد فترة من الزمان، ونضوج الفرد، تصبح غير مولدة للذة، فلا يعود ينشد السرور من خلال اللعب بها، ما يدفعه لتركها والبحث عن أشياء جديدة تسعده كالرياضة أو مشاهدة التلفاز أو نحو ذلك.